



ارتفعت في الفترة الأخيرة أصوات عديدة من مسيحيي مصر تدعي أنهم أصحاب البلد الأصليون، وأن المسلمين المصريين أصلهم الوافدون مع الفتح العربي من الجزيرة العربية،

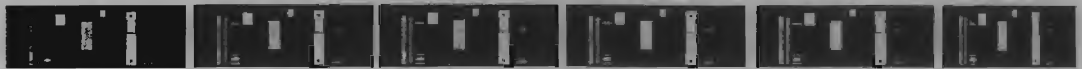
أقباط مسلمون قبل محمد (ﷺ)

لكن هذا الكتاب يثبت أن أجداد مسلمي مصر هم الآريسيون الموحدون الذين كانوا يمثلون فئة كبيرة من الشعب المصري قبل الفتح، وهو يعد وثيقة مهمة في ظل ندرة المصادر الموجودة والبحوث المتوافرة في موضوع تاريخ الآريسيين في مصر وقت الفتح.

الفصل الأول

تحرير معنى المسلم

لغويًا: السَّلْم بفتح السين واللام هو الاستسلام والانقياد، والسَّلْم بفتح السين وسكون اللام مثل السلام والإسلام، والمراد بالسلام هنا الاستسلام والانقياد، ويجوز أن يكون من التسليم، ومنه قول الله (ﷻ): «ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً» (البقرة: ٢٠٨)، أي في الإسلام، وجاء في لسان العرب لابن منظور: الإسلام معناه: إسلام الوجه لله (ﷻ)، يقال: فلان مسلم، ففيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص في العبادة من قلبه. وعن العلاقة بين الإسلام والدين عرف علماء الأمة على مر العصور كلمة الإسلام وكلمة الدين بمعنى واحد؛ إيمانًا منهم بترادفهما وبعدم انفصال أي منهما عن الآخر، لقول الله تعالى في كتابه العزيز: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (آل عمران: ١٩).



تأليف: فاضل سليمان

الناشر: شركة النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م

عرض: محمد عبد المقصود

أبدأً في حياته بأنهم هراطقة ضلوا عن السبيل، فلم يؤلّوها المسيح ولم يؤمنوا بالثالوث المقدس.

وقد اختلف الباحثون في تسميتهم، فهناك من رأى أن تسميتهم بذلك ترجع لرجل يدعى أبيون ظهر بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م، آمن بأن المسيح لم يكن إلهاً، بل إنساناً ولد بالطبيعة، ويقول آخرون: إنما تعود تسميتهم للأصل العبري أبيونيم، أي الفقراء والمساكين.

ومن أهم معتقداتهم: بشرية السيد المسيح، ولكن ينسب إليهم خصومهم إنكار الولادة العذرية للمسيح من السيدة مريم، وذهب بعضهم إلى أنه جاء من أبوين بشريين هما: يوسف والسيدة مريم (عليها السلام).

ويستخدمون إنجيل متى فقط، ويرفضون بولس الرسول، ويقولون عنه: إنه مرتد عن الناموس، يحفظون الختان وكل العوائد المذكورة في الشريعة، فهم يهود في حياتهم، ويبجلون أورشليم لأنها بيت الله.

٢ - أتباع ثيودوتاس،

جاء ثيودوتاس إلى روما عام ١٩٠م، ونذر نفسه لنشر عقيدة التوحيد الخالص، وأيد نظرياته حول بشرية المسيح بآيات من الكتاب المقدس تشير إلى ذلك (ﷺ) إلى أن قام البابا فيكتور بعزله عام ١٩٩م.

٣ - أتباع بولس الشمساطي،

بعد القضاء على حركات التوحيد في الغرب من أتباع ثيودوتاس ومن بعده أرطمون، ظهر بولس الشمساطي لبيعته من جديد في الشرق عام ٢٦٠م، سار على خطى من سبقوه من دعاة التوحيد، فنادى بإنسانية المسيح، ورفض الثالوث، وأقر بالولادة العذرية للمسيح من السيدة مريم،

الأنبياء جميعاً على دين الإسلام

وقد قال النبي (ﷺ): "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد".

فيذكر ابن تيمية في فتاواه، موضعاً أن دين الأنبياء هو الإسلام، الذي لا يقبل الله ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخرين؛ فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، وتأسيساً على ذلك يتضح جلياً أن من قالوا: لا إله إلا الله، وأقروا بأن عيسى ابن مريم بشر، وعبد الله ورسوله في الفترة بين الرسولين عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام)، فهم مسلمو عصرهم.

الفصل الثاني

عقائد النصاري والموحدين

يدور هذا الفصل حول عقائد النصاري الموحدين؛ إذ مرت المسيحية بصراعات عقائدية مريرة لأكثر من ثلاثة قرون بين أنصار الثالوث المقدس وأنصار التوحيد الخالص، خرج منها المنتصرون بوصف الأرثوذكس، وخرج منها المهزومون بوصف الهراطقة. وفي هذا الفصل سنلقي الضوء على جانب من جماعات النصاري الموحدين:

١ - الأبونيون،

هي جماعة وصفها بأتباع المسيحية اليهودية، وذلك لتمسكهم بالتوراة ورفضهم للإنجيل الأربعة وإيمانهم بنسخة عبرية مختلفة وصفها رمسيس عوض بالنسخة الشائثة، ويقول تولاند: إن الأبونيين عاصروا السيد المسيح (ﷺ)، بل وخرج منهم كل الحواريين، ولكنهم على الرغم من ذلك حكم عليهم المسيحيون الأوروبيون الذين تعلموا من بولس الطرسوسي الذي لم ير المسيح

**اهتم النبي (ﷺ) بالآريسيين باعتبارهم
من أتباع عقيدة التوحيد، وحذر هرقل
الروم ومقوقس مصر من اضطهادهم أو
إيذائهم**



يتفق مع عقيدة المسلم، فيجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً، وأن الله (ﷻ) قد عصمهم عن الكبائر كلها والصفائر والقول بأنه ليس كأي مخلوق يتفق مع عقيدة السلم؛ أن المسلم هو الوحيد من دون البشر جميعاً الذي ولد من أم بلا أب، وظهر في العقد السادس من القرن الرابع الميلادي جماعة النصف آريسيين؛ لأنهم آريسيون فقط فيما يخص نفسي الألوهية مع الروح القدس.

الفصل الثالث

اضطهاد النصارى الموحدين (الآريسيين)

كل ما قيل عن اضطهاد الهمج الوثنيين للمسيحيين ينطبق تماماً على اضطهاد الكنيسة للهرطقة، فبعد عصر نيقية لم تقتصر معاملة المفاقيين لعقيدة حكم دولة الكنيسة على الكره والحرمان الكنسي لخطئهم في العقيدة، ولكنهم عوملوا كمجرمين ضد الدولة المسيحية، وبذلك عوقبوا بعقوبات مدنية مثل الخلع من المناصب والإبعاد والمصادرة، ووصل الأمر إلى الإعدام بعد وصول الإمبراطور ثيودوسيوس للحكم.

أما بالنسبة لصور الاضطهاد؛ فيسجل جون ديفنبروت رقماً قياسيًّا لعدد النصارى الموحدين الذين قتلهم الكنيسة، ويقول: إنهم بلغوا أكثر من اثني عشر مليوناً، وتذكر كل كتب التاريخ المذبحة

ويمثل بولس هذا أنقى اتجاهات التوحيد الصحيح في عقائد النصرانية بعد الأبيونيين.

٤ - الآريوسية،

هي حركة بدأت في القرن الرابع الميلادي بالتحديد، وقامت على تعاليم أسقف ليبي اسمه آريوس، ولد عام ٢٥٠م، ومات في عام ٣٣٦م، والذي قام بحملة كبيرة ضد بدعة التثليث.

وترى الآريوسية أن ابن الله ليس خالداً، وإنما هو مخلوق من عدم بواسطة الأب، كما خلق العالم، وعلى ذلك فإن المسيح ليس ممثلاً ولا شريكاً في الأزلية مع الخالق، ولا هو من نفس المادة.

تعاليم آريوس

يقر المسيحيون المؤمنون بالثالوث المقدس بأن الآريوسية هي امتداد لتعاليم بولس الشمشاطي وتعاليم الأبيونيين من قبله، ويعتقد أن معظم كتب آريوس قد أحرقت طبقاً لأوامر الإمبراطور قسطنطين، حيث أصدر أمراً إمبراطورياً ينص على حق أعماله، وإعدام كل من وجدت عنده.

ويشير المؤلف إلى أن هناك إشكالية: هل تخالف عقيدة آريوس عقيدة الإسلام في طبيعة السيد المسيح، على الرغم من قوله: إنه مخلوق أو لا، وإطلاق لفظ الابن على السيد المسيح ولفظ الأب على الله تعالى؟

تجاوز علماء المسلمين الذين تعمقوا في ثقافة بني إسرائيل واللغة العبرية، هذا المصطلح الابن بمعنى متدين، أو بار، وكذلك أن لفظ ابن الله لا يصح أن يكون بمعناه الحقيقي؛ لأن المعنى الحقيقي للفظ باتفاق جميع لغات أهل العالم هو المتولد من الأبوين، والقول المنسوب لآريوس بأن المسيح هو مخلوق كامل وليس كأي مخلوق آخر

فيقول القرآن الكريم في الفريق الأول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٢، ٨٣).

ويعزز القرآن فكرة وجود فريق موحد من بين أهل الكتاب حتى وقت نزول القرآن فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢).

ثانياً، في السنة النبوية،

ما ورد في حديث النبي (عليه الصلاة والسلام): "وإن الله تعالى نظر إلى أهل الكتاب فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"، يقول الإمام النووي شارحاً قول النبي: المراد بقايا أهل الكتاب، الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل.

ثالثاً، أقوال الصحابة،

منها قول عروة بن الزبير: ضيعت النصراني الإنجيل وأدخلوا فيه ما ليس منه، وكانوا أربعة نفر الذين غيروه: لوقاس، ومرقوس، ويوحنا، ومتيوس، وبقي قسيس على الحق وعلى الاستقامة، فمن كان على دينه وهديه فهو قسيس.

رابعاً، كتب التاريخ،

تروي كتب التاريخ والسير أن بعض نصاري البربر من شمال أفريقيا ذهبوا إلى عمرو بن

البشعة التي قتل فيها الإمبراطور ثيودسيوس أكثر من ١٥٠٠٠ أريوسي في مدينة سالونيك (بمقدونيا حالياً).

وعن التبرير الشرعي لتلك المذابح واستخدام القوة ضد المخالفين في العقيدة، يقول عميد كانتريي ويس هنري عن القديس أوجستين الذي أجاز التعذيب والاضطهاد للمخالفين في العقيدة: استناداً إلى الآية رقم ٢٣ في إنجيل لوقا الإصحاح الرابع عشر، (فقال السيد للعبد: اخرج إلى الطرق والسيارات، وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي)، وأمر الاضطهاد انطبق على الأريسيين ليس في الشرق فحسب، بل في الغرب أيضاً، فعزلت مجتمعاتهم وهمشت.

الفصل الرابع

إثبات وجود النصاري الموحدين

حتى الفتح الإسلامي

نسوق في هذا الفصل الأدلة على وجود النصاري الموحدين في البلاد المفتوحة. وعلى الأخص مصر؛ مما يعطي بعداً جديداً لمسألة عدم مقاومة المصريين، بل وترحيب بعضهم بالفاتحين العرب، ونستدل على وجود النصاري الموحدين من المصادر التالية:

أولاً، من القرآن الكريم،

حيث أوضح القرآن أن هناك فريقين رئيسيين من أهل الكتاب، من حيث موقفهم من دعوة خاتم المرسلين (عليه أفضل الصلاة والتسليم)، فمنهم من سارع إلى الإيمان بما جاء به النبي الخاتم، لما يجدونه مصدقاً لما هم عليه من عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى ابن مريم، ومنهم من بقي على معتقداته التي تعتبر الإسلام كفرًا، مثل عقيدة الثالوث، وعقيدة تاليه المسيح (عليه السلام).

الإسلام هو الاستسلام الخالص لله تعالى، ودين الأنبياء كلهم هو الإسلام



يتبع عقيدة التوحيد.

حث القرآن على نصرة المظلومين

كما حث القرآن على نصرة المظلومين والمضطهدين في مواضع عديدة منه، بل وجعل القتال لنصرتهم واجباً على المسلمين، كما نرى في آيات سورة النساء: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا» (النساء: ٧٥).

كما حثت السنة النبوية على تعاون المسلمين ونجدة ضعيفهم بقول النبي (ﷺ): "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه"، وتأسيساً على ما سبق من أن وصف المسلم ينطبق على النصاري الموحدين، ومنهم الآريسيون الذين تعرضوا للفتنة والاضطهاد والقتل ومصادرة كنائسهم، وطالما أنهم كانوا موجودين في الأماكن المجاورة في الجزيرة العربية، وفي ظل حث القرآن والسنة النبوية لنجدة إخوانهم؛ فإن من الطبيعي أن يخرج المسلمون من أصحاب محمد لنجدة إخوانه من المسلمين أصحاب عيسى (عليهما السلام).

تزييل (دكتور محمد عمارة)

لقد تعددت الشرائع بتعدد وتنوع واختلاف الأقسام ومراحل التاريخ والواقع الذي توالى عليه النبوات والرسالات، لكن ظلت وحدانية الإله

العاص يطلبون الدخول في الإسلام، ولعل أهم الكتب الأصلية في إثبات وجود الآريوسيين بمصر وقت الفتح هو كتاب تاريخ مصر ليوحنا النقيوشي.

الفصل الخامس

اهتمام النبي بأمر الآريسيين

بعد أن أثبتنا فيما سبق موافقة عقيدة الآريوسيين لعقيدة الإسلام، وتعرضهم للاضطهاد والتعذيب والقتل؛ مما يعرضهم للفتنة في دينهم، نثبت في هذا الفصل مدى اهتمام النبي (ﷺ) بأوضاعهم وشعوره بمسؤوليته تجاه نجدتهم ونصرتهم، وفي ذلك أرسل النبي (ﷺ) رسالة إلى هرقل الروم، أرسلها مع الصحابي الجليل دحية الكلبي، محذراً إياه من استمرار اضطهاد النصاري الموحدين، مسمى إياهم بالآريسيين، كما كانوا يلقبون في ذلك الوقت، ونص الرسالة: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن توليت فإني أؤمرك بالآريسيين).

وكذلك أرسل رسالة إلى المقوقس حاكم مصر مع الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة، محذراً إياه من اضطهاد الأقباط، وحمله إثمهم.

وكذلك أرسل إلى الأصم ملك الحبشة مع الصحابي عمرو بن أمية الضمري (رضي الله عنه) رسالة يدعوه وجنوده إلى الله (ﷻ)، ولم يحمله النبي إثم أحد.

ومن الملاحظ أن النبي (ﷺ) استخدم لفظ آريسيين في خطابه لهرقل، ولم يستخدم لفظ أصحاب عيسى ابن مريم، وأهل الكتاب؛ لأن الرومان أطلقوا مسمى الآريسيين على كل من

(الديقونية تعاليم الرسل) أنهم قوم يظنون أن ابن الله إنسان.

٣- مذهب مكدونوس (٢٥١ - ٣٦٠م) بطريك القسطنطينية الذي قال: إن الروح القدس غير مساوٍ للأب والابن.

٤- مذهب الراهب البريطاني بيلاجيوس (٣٦٠ - ٤٢٠م) أنكر الأسس العقائدية التي بنيت عليها عقيدة التآليه للمسيح والصلب والفداء.

٥- مذهب النساطرة (٣٨٠ - ٥٥١م) أتباع نسطور، الذي أنكر اتحاد اللاهوت بالناسوت في أحشاء مريم، وقال: إنها لم تلد إنساناً فقط.

٦- مذهب أوطاخي أو أطيخا (٤٤٥م)، الذي قال بأن لاهوت المسيح امتص ناسوته، كما يمتص المحيط قطرة من الخل، وهكذا توالى على امتداد القرون الأولى للنصرانية المذاهب والدعوات التي تحاول الانتصار لنقاء عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح حتى جاءت أخطر هذه الدعوات من حيث القوة والانتشار، وهي دعوة.

٧- آريوس التي ذاعت وانتشرت عبر العالم المسيحي منذ القرن الثالث الميلادي وحتى القرن السابع الذي أشرق فيه التوحيد الديني في صورته المثلى بشريعة الإسلام، وإذا كانت وقائع التاريخ لم تترك لنا الأرقام التي تحدد تعداد كل مذهب من المذاهب التي كونت الخارطة الدينية لمصر كم كانت نسبة كل مذهب وملة إلى مجموع سكان مصر الذي كان يومئذ ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة، فإن معدلات انتشار الإسلام في الدولة الإسلامية ومعدلات انتشاره بمصر إلى أن الأريوسيين والوثنيين المصريين الذين سارعوا للدخول في الإسلام فور بدء الفتح الإسلامي كانوا يمثلون أغلبية السكان يومئذ، بينما كان الأرثوذكس الذين ظلوا على عقيدتهم بعد الفتح الإسلامي كانوا أقل من نصف سكان البلاد. ■

الخالق المعبود والإيمان بالغيب والحساب والجزاء والعمل الصالح في هذه الحياة الدنيا هي أصول الإيمان في كل الشرائع والنبوات والرسالات، فالتوحيد هو مفتاح الإسلام، وهو ما جاء به سائر الأنبياء، لكن صراعاً تاريخياً شديداً وعنيفاً قد دار بين عقيدة التوحيد التي زكته الفطرة الإنسانية، والتي شهدت وتشهد لها وبها العقلانية المؤمنة وبين الوثنية المركزة في طفولة العقل البشري، تلك التي تنتزع إلى التجسيد والتجسيم، وكثيراً ما غالبت هذه النزعات الوثنية عقيدة التوحيد، فعبد بنو إسرائيل في حياة موسى (عليه السلام) العجل الذهبي، بل وأشربوا في قلوبهم تقديس هذا العجل الذهبي حتى الآن، وكذلك حدثت المغالبة وحدث الصراع فيما طرأ على التعاليم النصرانية التي بشر بها المسيح، فبعد نقاء عقيدة التوحيد التي دعا لها المسيح ذهب بولس، فطوع التوحيد لوثنية الرومان، وجعلهم يحلون المسيح محل الله ويعبدونه من دون الله، وقالوا عنه: إنه خالق كل شيء، وبه كل شيء، ومن دونه لم يكن شيء، وأنه خالق الأشياء ومالكها حتى تفوقت هذه الوثنية الجديدة على وثنية الشرك الجاهلي التي كانت تفرد الله بالخلق: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣).

وفي هذا السياق، سياق الدفاع عن نقاء التوحيد الديني، نقرأ مواقف وأفكار وعقائد:

١- الفرقة البوليانية أتباع بولس السمساطي أسقف أنطاكية في القرن الثالث الميلادي تلك الفرقة التي رفضت تأليه المسيح (عليه السلام) وعبادته.

٢- الأبيونيين الذين جاء عنهم في كتاب